الأكثرية في الخطاب القرآني: دراسة نقدية دلالية في ضوء السنن الإلهية

د. محمد سعيد حسب النبي *

سلم البحث في ١٤٤٧/٦/٢٠هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٤٧/٧/٢٢هـ

ملخص البحث:

هدفت الدراسة إلى تحليل مفهوم الأكثرية في الخطاب القرآني من خلال تتبّع دلالاته اللغوية والسلوكية والسننية، والكشف عن كيفية توظيفه في بناء وعي يتحرّر من معيار الكم إلى معيار الحق. اعتمدت الدراسة منهجًا تحليليًا وصفيًا يقوم على تحليل المفردة في سياقاتها القرآنية، واستقراء الأساليب اللغوية والنحوية والبلاغية المصاحبة لها، وربط ذلك بالسنن الإلهية التي تحكم السلوك الجمعي. وانتهت النتائج إلى أن الخطاب القرآني يقدّم تصورًا مغايرًا للمفهوم الاجتماعي الشائع للأغلبية؛ إذ يربط الأكثرية في معظم استعمالاتها بصفات معرفية وسلوكية سلبية مثل الجهل، واتباع الهوى، وضعف الشكر، والانقياد الأعمى، كما يكشف عن ارتباط بنيوي بين مسار الأكثرية والسنن الإلهية في الضلال والانحراف. وأظهرت النتائج كذلك أن القرآن يميّز بوضوح بين الغلبة العددية والغلبة في الحق، وأنه يوظّف منظومة لغوية ودلالية متكاملة لتأكيد أن معيار التفاضل هو الكيف والقيمة لا الكثرة، مما يجعل مفهوم الأكثرية في القرآن أداة تربوية وسننية لبناء وعي ناقد يَزِن الحقائق بميزان الهداية لا بميزان العدد.

الكلمات المفتاحية: الأكثرية، الغلبة العددية، الغلبة في الحق، السنن الإلهية، الخطاب القرآني، الأبعاد السلوكية والمعرفية، التفسير القيمي.

Abstract:

The Majority in the Qur'anic Discourse: A Semantic-Critical Study in Light of Divine Laws

This study aimed to analyze the concept of the majority in the Qur'anic discourse by tracing its linguistic, behavioral, and divine dimensions, and examining how it is employed to build awareness that shifts from the criterion of quantity to the criterion of truth. The study adopted a descriptive-analytical approach, analyzing the term in its Qur'anic contexts, examining the accompanying linguistic, grammatical, and rhetorical devices, and linking them to the divine laws governing collective behavior. The results revealed that the Qur'anic discourse presents a perspective that

* عضو هيئة تدريس بكلية اللغات, جامعة أكتوبر للعلوم الحديثة والآداب, جمهورية مصر العربية.

contrasts with the common social understanding of the majority: in most of its usages, the majority is associated with negative cognitive and behavioral traits such as ignorance, following whims, ingratitude, and blind compliance, and there is a structural link between the trajectory of the majority and divine laws of misguidance and deviation. The study also showed that the Qur'an clearly distinguishes between numerical predominance and predominance in truth, and employs an integrated linguistic and semantic system to emphasize that the criterion of distinction is quality and value, not quantity. Thus, the concept of the majority in the Qur'an serves as an educational and divine tool for cultivating critical awareness that evaluates truths according to the measure of guidance rather than numerical strength.

Keywords: Majority, Numerical Predominance, Predominance in Truth, Divine Laws, Qur'anic Discourse, Behavioral and Cognitive Dimensions, Value-Based Interpretation

المقدمة:

يتميز الخطاب القرآني بكونه خطابًا جامعًا متعدد المستويات، يجمع بين الإرشاد والتوجيه، وبين التشريع والبيان، وبين الوصف والتحليل للواقع البشري. ومن أبرز الخصائص التي يتكرر فيها هذا الخطاب القرآني تركيزه على الجماعة البشرية، وعلى العلاقات الجماعية، وعلى الأنماط السلوكية التي تسود غالبية الناس في مراحل مختلفة من التاريخ الإنساني. وهذه الأكثرية البشرية، التي يُشار إليها ضمنيًا أو صراحة في آيات متعددة، لا يُنظر إليها باعتبارها مجرد عدد، بل بوصفها مؤشرًا على اتجاهات السلوك الإنساني، ومدى وعيه، واستجابته للحق، وانضباطه للسنن الإلهية. ومن هذا المنظور، يتجلى القرآن كخطاب يتعامل مع الجماعة البشرية بوصفها موضوعًا معرفيًا وأخلاقيًا وسلوكيًا، يعرضها أمام اختبار مستمر، ويرسم من خلالها نموذجًا لفهم السنن الإلهية في واقع الإنسان.

إن دراسة النصوص التي تشير إلى الأكثرية في القرآن لا تتوقف عند البعد العددي، بل تتجاوز ذلك إلى الكشف عن اتجاهات التفكير، والوعي، والاختبار الذي تتعرض له الجماعة. ففي سورة البقرة، يُصور القرآن جماعة خرجت من ديارها بألوفها، تحذر الموت. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لهم اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ٢٤٣). نلحظ في هذه الآية، أن النص لا يركز على العدد فقط، بل على نتيجة الاختبار الإلهي، المتمثل في الشكر والاعتراف بنعم الله. فالأكثرية هنا ليست مجرد غلبة عددية، بل هي حالة سلوكية ومعرفية مرتبطة بالامتثال والوعي.

وفي سورة الأنعام، يبرز القرآن أثر الظن والأهواء على الجماعة. قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أكثر مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ، إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنّ وإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام: ١١٦). حيث يشير النص إلى أن الأغلبية قد تكون معرضة للضلال بسبب ميلها للظن، وأن السنن الإلهية تحكم سلوك الجماعة بما يتجاوز مجرد العدد.

وفي سورة الأعراف، يظهر بُعد آخر مرتبط بالمعرفة. قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٧). فالتركيز هنا على الجهل، وليس العدد. حيث إن أكثر الناس لا يعلمون سنن الله أو حكمة الأحداث، وهذا يوضح أن الأكثرية مرتبطة بالوعي والفهم، وليس بالهيمنة العددية.

وتتكرر هذه الصورة في سورة هود. قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ به وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ۚ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (هود: ١٧). حيث يعرض النص الأغلبية في سياق الاستجابة الرسالية، أي أن الأكثرية ليست في الإيمان الحق، بل في التردد أو رفض الحق، ما يعكس البعد العقائدي والسلوكي للأكثرية في القرآن.

وفي قصة يوسف نموذج آخر. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٢١)، وقوله: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يوسف: ١٠٣). حيث يتضح أن أكثرية الناس لا تصل إلى الفهم الحقيقي للأحداث أو الحقائق، ويحدد معيار الإيمان الحقيقي في الجوهر لا في العدد.

وفي سورة سبأ، يشير القرآن إلى شمولية الدعوة. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ: ٢٨). وبالمثل، في سورتي لقمان والجاثية. قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (لقمان: ٢٥)، وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثية: ٢٦). حيث الأكثرية هنا مرتبطة بعدم الإدراك للسنن الإلهية، وعدم وعي

الإنسان بدورة الحياة والموت التي يحكمها الله وحده، ما يعكس الطبيعة السلوكية والمعرفية للأكثرية في النص.

كما يعالج القرآن جدل الإنسان. قال تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف: ٥٤)، وقوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ٣٧). حيث تشير الآيات إلى أن الأغلبية غالبًا ما تكون محكومة بالشك والجدل، وأن التأمل الحقيقي واليقين ليس هو الغالب، ما يعكس سننًا قرآنية في الاختبار.

وتظهر دراسة العزازمة (٢٠١٤) حول دلالات القلة والكثرة في القرآن ودراسة الغريب (٢٠١٦) التي تربط هذه المفاهيم بالسنن الإلهية، أن فهم الأكثرية في القرآن يحتاج إلى تحليل لغوي، ونحوي، ودلالي متكامل، يجمع بين البعد العددي، والمعرفي، والسلوكي، والمقاصدي. فالتحليل النحوي للجموع، يوضح أن أكثرية الناس غالبًا ما تُصور باستخدام أساليب لغوية تشير إلى التعميم والانتشار، بينما التحليل الدلالي يوضح البُعد السلوكي والمعرفي لكل أكثرية مذكورة.

وتتقاطع هذه الرؤية مع ما توصلت إليه دراسة السامرائي (٢٠١٩)، ودراسة جاد (٢٠٢٥) على الفروق الصرفية والتركيبية الدقيقة بين دلالتي القلة والكثرة، بينما أبرزت الدراسات الموضوعية والسننية عند الغريب (٢٠١٦) وجعفر (٢٠٠٩) أن السنن الإلهية في غلبة القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة.

ومع أهمية هذه الجهود، تظل الحاجة قائمة لإجراء تحليل متكامل وشامل يجمع بين البعد اللغوي الدلالي وبين البعد السنني والمقاصدي، لإبراز كيفية بناء النص القرآني لوعي الإنسان تجاه مفهوم الجماعة.

ومن هذا المنظور، يصبح تحليل الأكثرية في الخطاب القرآني محاولة لفهم كيفية بناء النص القرآني لرؤيته حول الجماعة البشرية، وكيف يعرضها للاختبار، ويوضح السنن الإلهية في الحياة اليومية، وفي الاستجابة للحق. فالنص القرآني لا يكتفي بوصف الأكثرية، بل يحلل سلوكها، ويكشف موقفها من المعرفة، والإيمان، والحق، ويقارن بين العدد والجوهر. وبالتالي تصبح دراسة الأكثرية القرآنية أداة لفهم كيفية تفاعل الإنسان مع السنن الإلهية، وموقفه من الرسالة، وانفتاحه على التعلم والوعي.

ومن هذا المنطلق كان سعي الدراسة الحالية لإبراز أن الأكثرية في القرآن ليست مجرد ظاهرة لغوية أو عددية، بل هي منظور معرفي وسلوكي متكامل، يتيح

للباحث استكشاف العلاقة بين الجماعة البشرية والسنن الإلهية، وبين الوعي والفهم والاختبار، وبين العدد والجوهر. وكل ذلك يجعل النص القرآني خطابًا فريدًا يجمع بين الوصف والتحليل، ويعرض للأكثرية البشرية باعتبارها موضوعًا معرفيًا وأخلاقيًا وسلوكيًا، يسعى لفهم الإنسان وإرشاده.

مشكلة الدراسة:

على الرغم من تكرار الإشارة إلى الأكثرية البشرية في الخطاب القرآني، فإن النص لا يكتفي بالحديث عن العدد أو الغلبة العددية، بل يعرض الأكثرية كمَعْلم معرفي وسلوكي، يربط بين وعي الإنسان وسلوكه واستجابته للحق، وبين السنن الإلهية التي تحكم حياته. فالقرآن يصوّر الجماعة البشرية في مواقف متعددة: الخوف والشكر، والمعرفة والجهل، والإيمان والكفر، والجدل والظن، ليُظهر بذلك أن الأغلبية ليست دائمًا الأغلبية الصالحة أو الواعية، وأن الغلبة العددية لا تعني بالضرورة الغلبة في الحق أو الفهم.

ومع ذلك، فإن الدراسات السابقة ركّزت على أحد هذه الأبعاد منفردًا، مثل البعد اللغوي أو النحوي أو الدلالي أو السنني، ولم تقدم قراءة متكاملة تُظهر كيفية توظيف القرآن لمفهوم الأكثرية في الكشف عن السنن الإلهية، وفي رسم صورة الجماعة البشرية من منظور معرفي وسلوكي ومقاصدي.

ومن هنا تنبع الحاجة إلى دراسة نقدية دلالية متكاملة، تبحث في الأكثرية في القرآن بوصفها أداة لفهم العلاقة بين الإنسان والسنن الإلهية، وبين العدد والجوهر، وبين وعي الجماعة واستجابتها للحق. فالمسألة ليست مجرد تعداد، بل قراءة دقيقة لكيفية تكوين النص القرآني لرؤيته حول الجماعة البشرية، واختبارها، وتوجيهها نحو الفهم، والوعي، والتمييز بين ما هو صحيح وما هو باطل.

أسئلة الدراسة:

يمكن تحديد أسئلة الدراسة على النحو الآتي:

١. كيف يصوّر الخطاب القرآني الأكثرية البشرية في السياقات المختلفة؟
٢. ما الأبعاد السلوكية والمعرفية للأكثرية كما تظهر في الخطاب القرآني؟
٣. كيف يرتبط تصوير الأكثرية بالسنن الإلهية في الخطاب القرآني؟
٤. كيف يميّز الخطاب القرآني بين الغلبة العددية والغلبة في الحق؟
٥. ما الأساليب اللغوية والدلالية والنحوية التي يستخدمها الخطاب القرآني لتصوير الأكثرية؟

أهمية الدراسة:

تتضح أهمية الدراسة من خلال الآتي:

أولا: الأهمية النظرية

١. توسيع الفهم الدلالي للأكثرية في الخطاب القرآني: حيث تكشف الدراسة أن الأكثرية ليست مجرد عدد أو غلبة عددية، بل مؤشر على وعي الإنسان وسلوكه واستجابته للحق، ما يعزز المعرفة بالقرآن من منظور نقدي دلالي.

٢. ربط النص القرآني بالسنن الإلهية: حيث تبيّن الدراسة كيف يصوّر الخطاب القرآني الأكثرية البشرية وفقًا للسنن الإلهية في الاختبار، والتوجيه، والحكمة، ما يسهم في فهم أعمق للفلسفة القرآنية في التعامل مع الجماعة البشرية.

٣. إثراء الدراسات اللغوية والنحوية والدلالية: من خلال دمج التحليل اللغوي والصرفي والنحوي مع البعد السلوكي والمعرفي، وبالتالي تتيح الدراسة فهمًا أكثر تكاملًا للخطاب القرآني.

٤. تطوير منهج نقدي متكامل لدراسة الخطاب القرآني: حيث توفر الدراسة إطارًا يجمع بين البعد العددي، والسلوكي، والمعرفي، والمقاصدي، ما يمكّن الباحثين من التعامل مع النص القرآني بعمق منهجي وأكاديمي.

ثانيًا: الأهمية التطبيقية

١. توجيه القارئ للنص القرآني: حيث تساعد الدراسة على فهم كيف يقدّم القرآن الجماعة البشرية من حيث كونها أمام اختبار مستمر، ويعزز وعي الإنسان وسلوكه تجاه السنن الإلهية، ما يدعم تدبر النص وفهم الرسالة القرآنية بعمق.

٢. توضيح العلاقة بين الغلبة العددية والغلبة في الحق: حيث تساعد الدراسة في فهم أن الغلبة العددية لا تعني بالضرورة الغلبة في الحق، ما يسهم في تطوير الوعي الجماعي والفردي في المجتمع المسلم.

٣. تسليط الضوء على الأبعاد المعرفية والسلوكية للأكثرية: حيث تقدم الدراسة أداة لفهم كيفية تعامل الخطاب القرآني مع سلوكيات الجماعة البشرية، مما يتيح استنتاج استراتيجيات تعليمية وتربوية قائمة على الوعي والتمييز بين الحق والباطل.

٤. إثراء الدراسات القرآنية المقاصدية والعملية: من خلال إبراز كيفية تكوين النص القرآني لرؤية شاملة حول الجماعة البشرية، يمكن للباحثين والمربين والمهتمين بالدراسات القرآنية الاستفادة منها في تحليل الخطاب القرآني وتعليم القيم والسلوكيات.

هدف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى استكشاف مفهوم الأكثرية البشرية في الخطاب القرآني من منظور نقدي دلالي، بحيث يتم الكشف عن كيفية تصوير الخطاب القرآني للأكثرية في سياقات مختلفة، سواء في الخوف والشكر، أو المعرفة والجهل، أو الإيمان والكفر، أو الجدل والظن، وذلك مع توضيح الأبعاد السلوكية والمعرفية للأكثرية، وعلاقتها بالسنن الإلهية التي تحكم سلوك الإنسان ومجتمعه. كما تسعى الدراسة إلى إبراز الفارق بين الغلبة العددية والغلبة في الحق، مع تحليل الأساليب اللغوية والدلالية والنحوية التي يستخدمها الخطاب القرآني لتصوير الأكثرية، بهدف تقديم قراءة متكاملة تجمع بين البعد العددي والسلوكي والمعرفي والمقاصدي، وتتيح فهمًا عميقًا لكيفية بناء النص القرآني لرؤيته حول الجماعة البشرية، وكيفية اختبارها، وتوجيهها نحو الوعي، والتدبر، والانضباط للسنن الإلهية، بما يعكس الفلسفة القرآنية الشاملة في التعامل مع الإنسان والمجتمع.

منهج الدراسة:

تتبنى الدراسة المنهج التحليلي النقدي الدلالي، بحيث يتم التركيز على الخطاب القرآني كموضوع معرفي وسلوكي متكامل. ويعتمد المنهج على قراءة متأنية للآيات التي تشير إلى الأكثرية البشرية، وتحليلها في سياقاتها المختلفة للكشف عن الأبعاد السلوكية والمعرفية المرتبطة بالأكثرية، وعلاقتها بالسنن الإلهية التي تحكم سلوك الإنسان ومجتمعه. كما يشمل المنهج التحليل اللغوي والدلالي للنصوص، مع استقصاء الأساليب النحوية والصرفية التي يستخدمها الخطاب القرآني لتصوير الأكثرية، وذلك بهدف الربط بين المعنى الظاهر والمعنى المقاصدي، بين العدد والجوهر، وبين الغلبة العددية والغلبة في الحق. ويتيح هذا المنهج فهم كيفية توظيف الخطاب القرآني لمفهوم الأكثرية في رسم صورة الجماعة البشرية، واختبارها، وتوجيهها نحو الفهم والوعي والسلوك الصالح، بما يعكس الطبيعة الشاملة والمتعددة لمستويات الخطاب القرآني، وعمقه في معالجة الواقع الإنساني.

مصطلحات الدراسة وتعريفاتها الإجرائية:

يمكن عرض مصطلحات الدراسة وتعريفاتها الإجرائية على النحو الآتي:

١-الخطاب القرآني

هو بنية نصية متكاملة لا يمكن فهمها بمعزل عن سياقها اللغوي والتواصلي. فالنص القرآني ليس مجرد مجموعة من الآيات المتفرقة، بل هو خطاب إلهي محكم، مُصاغ بدقة متناهية لخدمة غاية محددة. كما أن هذا الخطاب يتجاوز الأطر التقليدية

للنصوص البشرية، حيث يعمل كل حرف وكلمة وسياق على بناء شبكة معقدة من المعاني والدلالات التي تُبرز تفرد النص القرآني (حسب النبي، ٢٠٢٥).

وبالتالي فالخطاب القرآني وحدة لغوية وسلوكية ومقاصدية متكاملة، تشمل التوجيه، والإرشاد، والتشريع، والتحليل للواقع البشري. حيث يتم التعامل معه في هذه الدراسة كإطار لتصوير الجماعة البشرية وسلوكياتها، وليس مجرد نص لغوي أو شعري.

٢-الأكثرية البشرية

تشير إلى الغالبية العددية التي أشار إليها النص القرآني، والتي تمثل اتجاهات سلوك الأغلبية من البشر، سواء في المعرفة، والإيمان، والالتزام بالحق، أو الجدل والظن. والأكثرية هنا ليست مجرد تعداد، بل مؤشر على حالة معرفية وسلوكية.

٣-الأبعاد السلوكية والمعرفية

هي الأبعاد التي توضح كيفية تصرف الجماعة البشرية في النص القرآني، بما في ذلك الميل للجهل أو العلم، الشكر أو الكفر، الظن أو اليقين، والقدرة على التمييز بين الحق والباطل.

٤-السنن الإلهية

هي القوانين والأنماط التي وضعها الله لتنظيم حياة البشر واختبارهم، وتظهر في النص القرآني من خلال سردية الأحداث وتكرار النتائج لمعظم الناس (الغريب، ٢٠١٦).

٥- الغلبة العددية والغلبة في الحق

تشير الغلبة العددية إلى التفوق الكمي للأكثرية، بينما الغلبة في الحق تتعلق بصوابية الموقف أو الالتزام الإيماني والخلقي. ويستخدم هذا المصطلح للتمييز بين مجرد التفوق العددي وما يحمله من قيمة معرفية أو سلوكية (العزازمة، ٢٠١٤؛ الغريب، ٢٠١٦).

٦-الأساليب اللغوية والدلالية والنحوية

هي الوسائل البلاغية والنحوية التي يستخدمها الخطاب القرآني لتصوير الأكثرية البشرية، بما يشمل التعبير عن التعميم، والاستثناء، والتكرار، والضمائر والجمع، لفهم كيفية تأثير النص على المتلقي وبيان البعد المعرفي والسلوكي للأكثرية (السامرائي، ٢٠١٩؛ جاد، ٢٠٢٥).

الدراسات السابقة:

تتناول الدراسات السابقة موضوع القلة والكثرة في القرآن الكريم من زوايا متعددة، شاملة البعد اللغوي والدلالي والنحوي، بالإضافة إلى البعد السلوكي والمعرفي والسنني. ولقد قدمت كل منها رؤى محددة حول كيفية توظيف الخطاب القرآني للأكثرية البشرية في الكشف عن السنن الإلهية وتوجيه السلوك. ولتوضيح تطور الدراسة في هذا المجال، سيتم عرض هذه الدراسات من الأقدم إلى الأحدث، وذلك على النحو الآتي:

دراسة الشرباصي (١٩٥٤):

تعد من أقدم الدراسات التي تناولت مفهومي القلة والكثرة في القرآن. وقد هدفت هذه الدراسة إلى تصحيح الفهم الشائع لدى العامة الذي يربط القلة بالضعف والكثرة بالقوة، وإبراز الحكمة القرآنية في استخدام هذين المفهومين بما يتجاوز الدلالة العددية إلى القيمة والجودة. واعتمدت الدراسة في سياقها المنهجي على المنهج التحليلي اللغوي والمقارن، حيث استعرضت أصل المعنى في المعاجم اللغوية مثل مفردات الراغب وأساس البلاغة للزمخشري، ثم قاد التحليل إلى النصوص القرآنية لاستخلاص الدلالة التوجيهية. وقد أسفرت النتائج عن تأكيد أن القرآن الكريم، وهو كتاب حكمة وتوجيه، يتعمد توظيف مفهوم "الكثرة" في سياقات المدح عندما يتعلق الأمر بنعم الله وعطائه مثل النصر والمغانم والفاكهة الكثيرة، بينما يعمد إلى تجريد الكثرة من دلالة القيمة والصواب عندما ترتبط بسلوك البشر وهو ما يُعرف بالكثرة السلبية، مما يُرسِّخ المبدأ القرآني بأن العبرة في الميزان الإلهي تكون بالكيف والقيمة لا بالعدد والكم.

دراسة جعفر (٢٠٠٩):

هدفت هذه الدراسة إلى تحليل ظاهرة انتصار الفئة المؤمنة القليلة على الكثرة الكافرة، وربط القيمة بالجودة الإيمانية لا بالعدد. واعتمدت الدراسة في سياقها المنهجي على المنهج الموضوعي الاستقرائي، بحصر جميع الآيات التي تناولت الصراع بين القلة المؤمنة والكثرة الكافرة وتحليل سياقاتها في ضوء التفسير. وقد أسفرت النتائج عن تأكيد أن القيمة الحقيقية للأفراد لا ترتبط بالكمّ، بل بالالتزام بالدين، وأن القرآن يُبرز القيمة العظيمة للأقلية الملتزمة في مقابل النتائج الخطيرة للأكثرية الكافرة، مما يُرسِّخ قاعدة أن انتصار الحق ليس مرهونًا بالغلبة العددية.

دراسة العزازمة (٢٠١٤):

تناولت الدراسة مفهوم القلة والكثرة في القرآن الكريم وفق دراسة دلالية. حيث هدفت إلى إبراز الدلالات المتعددة لمفهومي القلة والكثرة في النص القرآني عبر منهج دلالي، والسعي لربط هذه الدلالات بالواقع العملي للأمة للاستفادة منها في نهضتها. واعتمدت الدراسة في سياقها المنهجي على المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث قامت بحصر الآيات المتعلقة بالمفهومين وتحليلها في ضوء أقوال المفسرين واللغويين. وقد أسفرت النتائج عن تأكيد أصالة المصطلحين ودلالتهما المتنوعة على المعاني والأعداد. كما أكدت على أن مفهوم الكثرة في الخطاب القرآني اقترن في مواضع عديدة بالصفات السلبية، كنفي العلم ونفي الشكر، في مقابل ارتباط القلة بصفات المؤمنين، مما يُرسِّخ قاعدة أن العدد لا يمثل معيارًا للحقيقة والصلاح.

دراسة الغريب (٢٠١٦):

هدفت هذه الدراسة إلى استخلاص وتأصيل سنن الله تعالى المتعلقة بمفهومي القلة والكثرة في القرآن الكريم، وتحديد الموقف العملي المطلوب من المسلمين تجاه هذه السنن بين الوعي الفكري بها والسعي لتطبيقها. واعتمدت الدراسة في سياقها المنهجي على المنهج الموضوعي الاستقرائي، بتقسيم الدراسة إلى فصول تتناول مفهوم القلة والكثرة وصفاتهما (المذمومة والمحمودة)، ثم استخلاص سنن الله فيهما بشكل منفصل. وقد أسفرت النتائج عن تحديد دقيق لسنن الله المتعلقة بالقلة والكثرة، حيث أكدت الدراسة أن العبرة في الميزان الإلهي هي بالجودة والكيف وليس بالعدد، وأن الغلبة في النهاية للقلة المؤمنة، وأن الوعي بهذه السنن يعد شرطًا أساسيًا لتصحيح المفاهيم وتوجيه المسار العملي للأمة.

دراسة السامرائي (٢٠١٩):

هدفت هذه الدراسة إلى تناول الأنماط والصور اللغوية المتعددة التي اعتمدها القرآن الكريم للدلالة على مفهومي القلة والكثرة، مركزة بشكل خاص على قواعد اللغة العربية. واعتمد الدراسة في سياقها المنهجي على المنهج التحليلي الدلالي للنص القرآني، حيث تناولت قضايا الجموع (جموع التكسير والجمع السالم)، والإفراد والجمع، والتذكير والتأنيث، ودلالة كل منها على القلة والكثرة. وقد أسفرت النتائج عن تحديد دقيق للفروق الدلالية اللغوية؛ فتوصلت إلى أن الكلمة قد يكون لها جمع تكسير أحدهما للقلة (من ٣ إلى ١٠) والآخر للكثرة (ما زاد على ١٠)، وأن الجمع السالم قد يدل على القلة في مقابل جمع التكسير الذي يدل على الكثرة، وأن التذكير قد يأتي دالاً على القلة والتأنيث على الكثرة.

دراسة (٢٠٢٠) Sardar:

هدفت هذه الدراسة إلى تقديم المفهوم الشامل للقلة والكثرة من حيث دلالاتهما ومضامينهما القرآنية، والكشف عن أسباب نزول الآيات واعتباراتها وربط ذلك بالواقع، مع بيان الأحكام النحوية والشرعية المترتبة على كل منهما. وقد اعتمدت الدراسة المنهج الاستقرائي لجمع الآيات القرآنية ذات الصلة، والمنهج الوصفي التحليلي لدراسة الموضوعات. وتوصلت إلى نتائج تؤكد أن دلالة الكثرة فى القرآن ليست دائمًا إيجابية، بل يتم تسليط الضوء على الكثرة السلبية المذمومة في سياقات عديدة، وهي الكثرة المرتبطة بالضلال، وعدم الإيمان، والجحود، والفسق، والتحذير من الانقياد وراء الأغلبية التى تخالف الحق، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (الأنعام: ١١٦)، مؤكدة بذلك على رسالة واضحة وقاعدية مفادها أن الكثرة العددية لا تعني بالضرورة الصلاح. وقد أوصت الدراسة بضرورة استقراء هذه الصيغ التي تحمل دلالات بلاغية عميقة تتشكل من سياقات محددة، لبيان أثرها في توجيه الفكر والسلوك في الواقع العملي.

دراسة جاد (٢٠٢٥):

هدفت الدراسة إلى بحث الآليات النحوية والصرفية التى يعتمدها النص القرآنى للتمييز الدقيق بين دلالتى القلة والكثرة، منطلقًا من خصيصة الميل إلى التفريق والتخصيص فى اللغة العربية، والدراسة وصفية تحليلية. وقد توصلت النتائج إلى أن القرآن يوظف فروقًا تركيبية وصرفية متعددة لإحداث هذا التفريق، مثل استعمال أداة الشرط (إن) للتقليل مقابل (إذا) للتكثير، وتوظيف التذكير مقابل التأنيث، وتفريق الضمائر في الإحالة إلى الاسم الموصول المشترك، مما يؤكد على الدقة البلاغية واللغوية في التعبير القرآني عن الكم العددي.

التعليق على الدراسات السابقة:

تناولت الدراسات السابقة مفهومي القلة والكثرة في الخطاب القرآني من زوايا متعددة، شملت التحليل اللغوي والبلاغي والدلالي والمقاصدي، مما أتاح قاعدة معرفية غنية يمكن الاستفادة منها في الدراسة الحالية. فقد ركزت دراسة الشرباصي (١٩٥٤) على التأصيل اللغوي للمفاهيم القرآنية للقلة والكثرة، موضحةً أن القرآن يفرّق بين الكثرة المرتبطة بنعم الله وفضله، والتي تُعد دالة على المدح، وبين الكثرة البشرية التي لا تعكس بالضرورة القيمة أو الصواب، وهي ما تُعرف بالكثرة السلبية. كما أكدت دراسة السامرائي (٢٠١٩) الدقة البلاغية والصرفية في استخدام المفردات القرآنية للقلة

والكثرة، بما في ذلك التفريق بين الجمع السالم وجمع التكسير، وبين التأنيث والتذكير، وهو ما يوضح حرص النص القرآني على الدلالة الدقيقة.

وعلى الصعيد الدلالي، قدمت دراسة العزازمة (٢٠١٤) تحليلاً معمقًا لعلاقة الكثرة بالصفات السلبية مثل الجهل ونقص الشكر والفسق، مقابل ارتباط القلة بصفات الإيمان والطاعة، وهو ما يمثل مادة غنية للتحليل النقدي الذي تنتهجه الدراسة الحالية. كما أكدت دراسة Sardar (٢٠٢٠) على أن دلالة الكثرة ليست إيجابية دائمًا، وأن النص القرآني يسلط الضوء على الكثرة المذمومة في سياقات محددة، مثل الانقياد وراء الأغلبية المخالفة للحق، مؤكدًا أن العدد لا يحدد الصلاح، وهو ما ينسجم تمامًا مع الإشكالية الأساسية لهذه الدراسة حول ارتباط الأكثرية بالذم في الخطاب القرآني.

أما من الجانب المقاصدي، فقد ركزت دراسة جعفر (٢٠٠٩) على ظاهرة انتصار الفئة القليلة المؤمنة على الكثرة الكافرة، مؤكدةً أن القيمة مرتبطة بالكيف وليس الكم، في حين ساهمت دراسة الغريب (٢٠١٦) في تأصيل السنن الإلهية المتعلقة بالقلة والكثرة، مبيّنةً أن الغلبة الحقيقية للفئة الصالحة تتحدد بالإيمان والعمل الصالح، وهو ما يعزز البُعد المقاصدي والتحليلي في الدراسة الحالية. وأخيرًا، قدمت دراسة جاد (٢٠٢٥) تحليلاً نحويًا وصرفيًا متعمقًا لكيفية تمييز النص القرآني بين دلالات القلة والكثرة، بما في ذلك توظيف أدوات الشرط والضمائر، مما يضيف بعدًا لغويًا دقيقًا لدراسة لفظ "أكثر" في سياقات الذم.

من خلال هذا الاستعراض، تتضح أوجه الاستفادة المتعددة التي يمكن للدراسة الحالية توظيفها: فهي تعتمد منهجيًا على الحصر الاستقرائي للآيات المرتبطة بالأكثرية والتحليل الدلالي الدقيق الذي استخدمته دراسات العزازمة (٢٠١٤) و Sardar (٢٠٢٠) وجعفر (٢٠٠٩)، وتستفيد مفاهيميًا من التأصيل المقاصدي للسنن الإلهية كما قدمته دراسة الغريب (٢٠١٦)، وتعمّق الجانب التحليلي من خلال الدقة البلاغية واللغوية التي أبرزتها دراسات السامرائي (٢٠١٩) وجاد (٢٠٢٥). كما توفر دراسة Sardar (٢٠٢٠) نموذجًا عمليًا لكيفية الربط بين السياق القرآني والأثر التوجيهي في الواقع.

وعلى الرغم من هذه الجهود، تظل هناك فجوة بحثية واضحة، إذ لم تقدم الدراسات السابقة مقاربة منهجية متكاملة تجمع بين التحليل الدقيق للألفاظ والسياقات القرآنية المرتبطة بالأكثرية، واستخلاص السنن الإلهية التي تحكم قيمة الأفراد

والمجتمعات وفق المعايير القرآنية، والربط بين الدلالة اللغوية والأثر المقاصدي. وتتمثل هذه الفجوة في غياب دراسة نقدية دلالية متخصصة تعتمد على تحليل مفهوم الأكثرية في سياق الذم في الخطاب القرآني، وتستخلص منه القوانين الإلهية العامة التي تحكم العلاقة بين الحق والكثرة، بما يتيح فهمًا أكثر دقة وشمولًا لآلية تقييم الأفراد والمجتمعات في القرآن الكريم، وهو ما تسعى الدراسة الحالية إلى سدّه.

الإطار النظري:

سيتم عرض الإطار النظري للدراسة وفقًا للمحاور الآتية:

المحور الأول: طبيعة الخطاب القرآني وخصائصه العامة

يتمتع الخطاب القرآني بخصوصية متفردة تميزه عن أي خطاب آخر، فهو يتجاوز كونه كتاب تشريع أو مجموعة قصص تاريخية، ليصبح منظومة معرفية وأخلاقية شاملة. إن فهم هذه الطبيعة يُعد نقطة الانطلاق الأساسية لتحليل ظاهرة "الأكثرية البشرية"؛ إذ لا ينظر النص القرآني إلى التجمع الإنساني بوصفه مجرد عدد، بل يتعامل معه بوصفه موضوعًا معرفيًا وسلوكيًا يخضع للتحليل والسنن الإلهية.

الخطاب القرآني: نظام متكامل ومحوريته الإنسانية

يُعرف الخطاب القرآني بكونه خطابًا جامعًا متعدد المستويات، يزاوج في معالجاته بين الإرشاد والتوجيه، وبين التشريع والبيان، وبين الوصف والتحليل العميق للواقع الإنساني. وتبرز خاصية المحورية الإنسانية في هذا الخطاب، حيث يعالج الخطاب القرآني الجماعة البشرية بوصفها موضوعًا للاختبار المستمر، ويرسم من خلال سلوكها نموذجًا لفهم السنن الإلهية في الحياة (الحداد، ٢٠٢٥).

الخاصية الجوهرية: قلب المعادلة العددية وربط الكمّ بالقيمة

تتمثل الخاصية الأهم في سياق دراسة الأكثرية في أن الخطاب القرآني يسعى إلى تعديل الذهنية الاجتماعية وتوجيهها بعيدًا عن وهم أن الغلبة والنجاة ترتبطان بالكثرة العددية (الحداد، ٢٠٢٥). فالقرآن لا يستخدم مصطلح الأكثرية بصيغة حيادية، بل يربط الكمّ بالقيمة، فيضفي على ذكر الأكثرية بعدًا نقديًا وقيَميًا عميقًا. وهذا الربط يظهر بوضوح عبر دمج الإشارة إلى الأكثرية بذكر صفات سلوكية ومعرفية سلبية:

١. البعد المعرفي والوعي: حيث يربط النص القرآني الكثرة البشرية بالجهل وعدم الإدراك، حيث تمثل هذه الفئة أكبر نسبة من الآيات المتعلقة بالأكثرية، وهي تركز على نقض صفات العلم والوعي لدى الأغلبية. ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٧)، وقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٣).

٢. البعد السلوكي والأخلاقي: حيث يربط الخطاب القرآني الكثرة بالتقصير في السلوك العملي، كالجحود والفسق، كما في قوله تعالى عن جماعة خرجت خوفًا من الموت ثم أحياها الله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ٢٤٣)، أو قوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران: ١١٠).

٣. البعد العقائدي والتوحيد: حيث تُظهر النصوص أن الميل نحو الكفر والشرك هو صفة الأغلبية، وتأتي في مرتبة متقدمة من حيث التكرار، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (هود: ١٧)، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٨).

التوجيه السنني ووظيفة الخطاب

إن هذه الطريقة في تصوير الأكثرية هي في جوهرها توجيه إلهي يهدف إلى بيان السنن الإلهية، والتأكيد على أن الهداية لا تقاس بالعدد، بل بالاستجابة للحق والالتزام بالقيم والمبادئ (Sardar,٢٠٢٠). فالنص القرآني يستخدم الأكثرية كمؤشر تحذيري وتربوي يدعو المؤمن إلى التفكير النقدي وعدم الانقياد وراء الأغلبية دون معيار صحيح، ويُعلّمه أن القلة المخلصة قد تكون هي نموذج الهداية والخير الذي يجب اتباعه. وبهذا، يُعيد القرآن صياغة فهم المجتمع البشري من منظور أخلاقي وقيمي، حيث تُفقد الكثرة دلالتها المطلقة وتصبح القلة الواعية هي معيار الحق والارتقاء (الحداد، ٢٠٢٥).

المحور الثاني: مفهوم الأكثرية البشرية في الخطاب القرآني

ينتقل الخطاب القرآني في معالجته للأكثرية البشرية من مجرد الوصف العددي إلى التأسيس لمفهوم قيمي وسلوكي عميق، يهدف إلى تعديل نظرة الإنسان للواقع الاجتماعي. فمفهوم الأكثرية في القرآن ليس مرادفًا للغلَبَة أو الحق، بل هو مؤشر على اتجاهات السلوك والوعي الإنساني، وغالبًا ما يُستخدم في سياق التحذير أو النقد (الحداد، ٢٠٢٥).

التعريف بالمفهوم: من الكمّ إلى الكيف

تُعرّف الأكثرية البشرية في الخطاب القرآني بأنها الغالبية العددية أو الغالبية الظاهرة في سلوكيات أو مواقف جماعية محددة، لكن دلالتها تتجاوز الإحصاء. إن الكثرة وفق الرؤية القرآنية ليست خاصية محايدة، بل هي شبكة من الدلالات الأخلاقية

والسلوكية التي تعكس رؤية متكاملة للمجتمع (الحداد، ٢٠٢٥).

وتتجلى خصوصية هذا المفهوم في أن النص القرآني يربط الكمّ بالقيمة، فحيثما وردت ألفاظ الكثرة، مثل "أكثر الناس" أو "أكثرهم"، غالبًا ما تُتبع بنفي أو ذم، مما يضفي بعدًا تربويًا ونقديًا على المفهوم (العزازمة، ٢٠١٤). وهذه المعالجة تؤكد أن قيمة الجماعة تقاس بجودتها الأخلاقية والمعرفية، لا بحجمها العددي.

تحليل سياقات ظهور الأكثرية: المؤشر السلوكي والمعرفي

يُصوِّر الخطاب القرآني الأكثرية في سياقات متعددة، تتكامل لتُبرز الأبعاد السلوكية والمعرفية التي تتسم بها الأغلبية، وتُشكل هذه الأبعاد في مجملها إشارات واضحة على مواقف الجماعة البشرية تجاه الحق والسنن الإلهية، وذلك على النحو الآتي:

١- السياق المعرفي: الجهل ونقض الوعي

يُعد التقصير في المعرفة والإدراك هو الصفة الأبرز والأكثر تكرارًا المرتبطة بذكر الأكثرية. ويركز هذا السياق على نقض صفات العلم والوعي لدى الأغلبية، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٢١)، وقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٣). وفي هذا السياق، تظهر الأكثرية كحالة من العمى البصري والذهني يغلب عليها اتباع الظن، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام: ١١٦).

٢- السياق السلوكي: الجحود والجدل

يرتبط ظهور الأكثرية أيضًا بوصف سلوكها العملي المتمثل في الجحود والمعصية والجدل المذموم. ومن ذلك ارتباط الكثرة بنقصان الشكر والاعتراف بنعم الله، كما في قصة القوم الذين خرجوا ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ ثم أحياهم الله، ليتبع ذلك قوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ٢٤٣). وكذلك يظهر ارتباط الكثرة بالجدل، كما في قوله :﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف: ٥٤)، مما يوضح أن الخطاب القرآني يستخدم الكثرة لتصوير الأنماط السلوكية التي تسود غالبية الناس في مواجهة الحق (Sardar, ٢٠٢٠).

٣- السياق العقائدي: الكفر والشرك

يؤكد الخطاب القرآني أن الميل نحو الكفر والشرك وعدم الإيمان بالتوحيد هو صفة تسود الأغلبية، مما يضع الأكثرية في سياق الاستجابة الرسالية والفتنة الإيمانية.

ومن أمثلة ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (غافر، ٥٩).

التمييز بين الغلبة العددية والغلبة في الحق

إن أهم ما يؤسسه مفهوم الأكثرية في الخطاب القرآني هو التمييز الحاسم بين الغلبة العددية وبين الغلبة في الحق، وهو ما يمثل نقطة ارتكاز المقاصد القرآنية في هذا الشأن. فالتفوق في العدد (الكثرة الكمّية) لا يعادل التفوق في الالتزام والمعرفة (الكثرة الكيفية).

ويُبرز القرآن هذا التمييز من خلال الآتي:

١. المعيار القيمي في الحكم: التأكيد على أن الحكم يكون للجودة لا للعدد، كما في قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ (المائدة: ١٠٠). وهذا المبدأ يرسخ أن الحق متجرد عن الأشخاص والزمان والمكان، ولا ينتمي بالضرورة إلى الأغلبية.

٢. النماذج العملية: تقديم القصص التي تُظهر انتصار القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة كسنن حاكمة، كما في قصة طالوت وجالوت، حيث تتضح المعادلة. قال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٤٩) (جعفر، ٢٠٠٩). فهذه الآية تؤكد أن الغلبة الحقيقية هي تلك التي تكون بإذن الله، والتي تعتمد على الصبر والإيمان كقيمة، وليس على الحجم العددي وحده (الغريب، ٢٠١٦).

المحور الثالث: الأبعاد المعرفية والسلوكية للأكثرية

لا يكتفي الخطاب القرآني بتقرير وجود الأكثرية البشرية كحقيقة عددية، بل يتجاوز ذلك إلى تحليل سلوكياتها ومعايير وعيها بأسلوب نقدي وموجِّه. حيث يهدف هذا التحليل إلى إبراز أن اتجاه الجماعة نحو الحق أو الانحراف هو نتاج خيارات نوعية (معرفية وسلوكية)، تُترجم في النهاية إلى نتائج دنيوية وأخروية وفقاً للسنن الإلهية.

البعد المعرفي: الجهل ونقص الإدراك (العقل والعلم)

يمثل البعد المعرفي نقطة الارتكاز الأهم في تصوير الخطاب القرآني للأكثرية المذمومة، حيث تُربط الكثرة بنقصان الوعي والإدراك. تشير التحليلات إلى أن التقصير في المعرفة والإدراك هو الصفة الأكبر انتشارًا بين سمات الأكثرية، إذ تمثل هذه الفئة حوالي ٣٩% من مجموع الآيات التي تتناول الكثرة وهي (٨٢) آية في القرآن الكريم وفقًا لما حصره الباحث.

يُصوَّر هذا القصور المعرفي في الآيات من خلال نفي صفات العقل والعلم عن الأغلبية، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (غافر: ٥٧)، وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٢١). أو نفي التعقل كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٣). وفي هذا السياق، تظهر الأكثرية كجماعة يغلب عليها اتباع الظن وتضليل الغير، وهو ما يُعد أساسًا للانحراف عن الحق، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام: ١١٦). إن ربط الضلال بالكثرة واتباع الظن يوضح أن الانحراف يبدأ من الأساس المعرفي المختل لدى الأغلبية (الغريب، ٢٠١٦).

البعد السلوكي والأخلاقي: الجحود والفسق

ينتقل التحليل القرآني من الجانب المعرفي إلى السلوك، حيث تُترجم النواقص المعرفية والعقائدية إلى ممارسات عملية مذمومة. ترتبط الأكثرية بسوء السلوك العملي، كالفسق والجحود والمعصية، وهي فئة قريبة في تكرارها من النواقص الإيمانية.

من أبرز السلوكيات المذكورة التي تُوصف بها الأغلبية:

• نقص الشكر والجحود: كما في قوله تعالى عن الأكثرية: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ٢٤٣). وهذا النقص في الشكر يمثل إخلالاً بالعهد الإلهي ونكرانًا للفضل، وهو سلوك جماعي يتنافى مع الغرض من الوجود.

• الفسق والانحراف العملي: تُوصف الأغلبية بصفات عملية سلبية مثل الفسق. قال تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران: ١١٠)، أو الجدل المذموم. قال تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف: ٥٤).

إن هذا الربط بين الكثرة وبين هذه السلوكيات يؤكد على أن الخطاب القرآني يستخدم الأكثرية كأداة تربوية وفكرية توجه المؤمن نحو التفكير النقدي وعدم الانجراف وراء الأغلبية التي تتسم بالانحراف السلوكي (الحداد، ٢٠٢٥).

الأكثرية كإفراز للاختبار والسنن الإلهية

تُعد الأبعاد السلوكية والمعرفية التي تتسم بها الأكثرية إفرازًا طبيعيًا ومباشرًا للاختبارات الإلهية التي تخضع لها الجماعات. فالنص القرآني يربط بين مواقف الأكثرية ونتائج تطبيق السنن الإلهية في الحياة اليومية، حيث إن:

١. الكثرة تمثل مجال الاختبار: تُظهر الكثرة نفسها في مواقف تتطلب الاختيار بين

الحق والضلال (الغريب، ٢٠١٦)، ونتيجتها المعتادة هي السقوط في دائرة النفي والذم، مما يؤكد أن الكثرة ليست مقياسًا للنجاح في الاختبار الإلهي.

٢. الوعي السنني كمنقذ: تُقدم صفة الأغلبية كجرس إنذار للمؤمن، يدعوه إلى الانفصال المنهجي عن مسار الكثرة المنحرفة، والتحوّل إلى نموذج القلة المؤمنة التي تُحسن الاستجابة لشروط الغلبة في الحق (جعفر، ٢٠٠٩). وبذلك، فإن رصد السلوكيات السلبية للأكثرية يهدف إلى توضيح السنن الإلهية في الهداية والضلال، وكيف أن الاستجابة غير الواعية للرسالة الإلهية تؤدي حتمًا إلى الانضمام لصفوف الكثرة المذمومة.

المحور الرابع: السنن الإلهية وعلاقتها بالمفهوم القرآني للأكثرية

لا يمكن فصل مفهوم الأكثرية البشرية في الخطاب القرآني عن منظومة السنن الإلهية، إذ تُعد الأكثرية في القرآن مؤشرًا دالاً على كيفية تفاعل الجماعات البشرية مع هذه القوانين الثابتة. فالنص القرآني يستخدم الأكثرية (في سياقها السلبي غالبًا) لتفسير نتائج السلوك الإنساني وقياس مدى الالتزام بالحق، مما يرسخ مبدأ أن الكثرة ليست معيارًا لرضا الله أو النجاح.

الأكثرية وسنة الاختبار والتمحيص

يرتبط تصوير الأغلبية البشرية ارتباطًا وثيقًا بسنة الله في الاختبار والابتلاء، وهي القوانين الثابتة التي تحكم المجتمعات وتكشف مدى صدق الالتزام بالرسالة (الغريب، ٢٠١٦). ويمكن توضيح ذلك من خلال الآتي:

١-كشف الوعي السنني (المعرفة):

إن البعد المعرفي للأكثرية (نفي العلم والتعقل) هو في جوهره كشف لسنة الاختبار؛ فالأغلبية تفشل في الاختبار لأنها تعطل أدوات الإدراك التي تُمكنها من فهم السنن الإلهية في الكون والحياة. ولذلك، جاءت الآيات لتؤكد أن الانحراف عن الحق ليس جهلاً مطلقًا، بل هو فشل في استخدام العقل لمعرفة الحق والسنن الحاكمة، مثل سنة الجزاء وسنة الهداية والضلال (الحداد، ٢٠٢٥).

٢- الكثرة كفشل في الاستجابة (السلوك):

يُظهر الخطاب القرآني أن الكثرة تُمثل الوجه الغالب للفشل في الاستجابة العملية لمقتضيات الاختبار الإلهي. فعندما يخرج قوم ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ (البقرة: ٢٤٣). ثم يُمنحون الحياة، كان الرد الطبيعي المتوقع هو الشكر والإيمان، لكن الخطاب يختم القصة بالنتيجة السلبية في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (البقرة:

٢٤٣). هذه الآية تضع سنة النعمة (الإحياء) في مقابل سلوك الأغلبية (الجحود)، لتُرسخ قاعدة سننية: الكثرة البشرية في الغالب لا تُحسن استثمار نعم الله في مواقف الاختبار.

تفسير نتائج السلوك وقياس الالتزام بالحق

يستخدم الخطاب القرآني الأكثرية لتفسير نتائج السلوك البشري وقياس الالتزام بالحق، مؤكدًا على أن سنة الغلبة مرهونة بالقيمة لا بالعدد. ويمكن توضيح على النحو الآتي:

١-سنة الغلبة في الحق (النوعية):

يُبرز القرآن أن معيار الغلبة الحقيقية ليس تفوق العدد (الغلبة العددية)، بل تفوق النوعية والالتزام بالحق (الغلبة في الحق). وهذا التمييز هو سنة إلهية حاكمة، تتجسد في قصة طالوت وجالوت، حيث تُقدَّم معادلة سننية صريحة تقلب المعيار البشري. قال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٤٩). وهذا يؤكد أن القلة لا تنهزم إذا تحصنت بالصدق والإيمان، حتى لو كانت الكثرة هي الغالبة في العدد (جعفر، ٢٠٠٩).

٢- الكثرة كنموذج للعبرة:

يستخدم الخطاب القرآني الأكثرية المذمومة لتكون عبرة وقاعدة مطردة للمؤمن، ليرسخ في ذهنه أن المعيار الصحيح للحكم على الأفكار والسلوكيات هو التحقق من موافقتها للحق، وليس شيوعها أو انتشارها بين الأغلبية. فالكثرة هنا تمثل سنّة التداعي والتأثر السلبي (الغريب، ٢٠١٦)، وتحذيرًا من الانجرار وراء الجموع التي تتبع الظن وتغفل عن سنن الله في الإدراك والشكر والتوحيد.

وبهذا، ينجح الخطاب القرآني في صياغة وعي الإنسان تجاه مفهوم الجماعة، ليجعله يدرك أن النجاة والانتصار هما ثمرة لسنن إلهية مرتبطة بالجودة والقيمة الروحية والمعرفية، لا بالكثرة الكمية التي غالبًا ما تقع في دائرة الفشل السلوكي والمعرفى.

المحور الخامس: الأبعاد اللغوية والنحوية والدلالية لتصوير الأكثرية

إن تصوير الأكثرية البشرية في الخطاب القرآني ليس عملية إحصائية عشوائية، بل هو نتاج لنسيج لغوي وبلاغي دقيق ومقصود. وتُعد دراسة الأبعاد اللغوية والنحوية والدلالية ضرورية للكشف عن الكيفية التي استُخدمت بها أدوات اللغة العربية لقلب المعادلة التقليدية، وإظهار أن القيمة تكمن في الكيف لا في الكم (Sardar,

٢٠٢٠).

الأساليب التركيبية والصرفية: إظهار الفروق الدقيقة

يُبرز الخطاب القرآني فروقًا دقيقة بين دلالتي القلة والكثرة من خلال أدوات النحو والصرف، وهي فروق مقصودة تخدم الغرض السنني للدراسة. حيث يهدف التحليل الصرفي والتركيبي إلى إظهار أن اللغة العربية تميل إلى التفريق والتخصيص في التعبير عن الكميات، وهو ما استغله القرآن لغرض بلاغي (جاد، ٢٠٢٥). ومن أهم هذه الأساليب:

١. استعمال أدوات الشرط: وذلك للتفريق بين دلالة الكثرة والقلة يتم عبر اختيار أداة الشرط المناسبة؛ ففي سياق الأكثرية التي يغلب عليها الانحراف (وهو أمر واقع ويقيني)، تُستخدم أداة مثل "إذا" التي تدل على الوقوع والتحقق، بينما قد تُستخدم "إن" للدلالة على القلة المحمودة أو المعنى الأقل احتمالاً.

٢. الإحالة بالضمير (التذكير والتأنيث): حيث يتم التفريق بين دلالتي القلة والكثرة عبر أساليب الإحالة، سواء عبر التذكير مقابل التأنيث، أو عبر الإفراد مقابل الجمع في الإشارة إلى الاسم الموصول المشترك، مما يضيف عمقًا دلاليًا غير مقتصر على العدد (جاد، ٢٠٢٥).

وهذه الأساليب التركيبية تحوّل الجملة القرآنية إلى رسالة تربوية، حيث يصبح التركيب النحوي ذاته دليلاً على الانحراف أو الاستقامة.

التحليل الدلالي: تباين مدلول الألفاظ

يركز التحليل الدلالي على الألفاظ والمفردات المستخدمة للتعبير عن الكثرة، حيث يحمل كل لفظ شحنة دلالية مختلفة تخدم سياقه (العزازمة، ٢٠١٤). ويمكن توضيح ذلك من خلال الآتي:

١. دلالة "أكثر الناس": فهذا التعبير غالبًا ما يُستخدم للدلالة على عامة البشر أو الجمهور الأعظم، ويرتبط في معظم سياقاته بالنفي السلبي لصفات مثل العلم، والإيمان، والشكر، مما يرسخ في ذهن المتلقي أن الجمهور الغالب هو معيار للتحذير لا للاتباع.

٢. دلالة "كثير منهم": حيث يغلب على هذا التعبير الارتباط بمجموعة محددة أو سابقة الذكر مثل أهل الكتاب أو جماعة من المؤمنين، ويأتي هنا ليُخصص الذم أو النقد ضمن إطار ضيق. وهذا التخصيص عبر البنية التداولية (التحليل اللساني لعبارة "كَثِيرٌ مِّنْهُمْ") يهدف إلى الكشف عن الرسالة التحذيرية التي ينتقل بها المعنى من

مجرد الوصف إلى التوجيه التعليمي والفكري (الحداد، ٢٠٢٥).

إن التباين في هذه الدلالات يوضح أن اختيار اللفظ لم يكن عشوائيًا، بل كان لبيان أن المدلول القيمي للكثرة يختلف باختلاف الفئة الموصوفة والسياق الذي وردت فيه.

البعد البلاغي: إبراز الفرق بين الكمّ والكيف

تُعد الأبعاد اللغوية والدلالية في مجملها أدوات بلاغية تُستخدم لإظهار الفرق الجوهري بين الكمّ (العدد) و(الكيف) القيمة والجودة الإيمانية.

- بلاغة المقابلة: حيث يعتمد الخطاب القرآني على أسلوب المقابلة الدائمة بين القلة المحمودة والكثرة المذمومة، كما في قصة طالوت. قال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٤٩). فهذه المقابلة ليست للإخبار بقدر ما هي للتقرير المقاصدي: فالميزان ليس ماديًا، بل سنني إيماني (الغريب، ٢٠١٦).
- التوجيه التربوي: إن استخدام الأساليب البلاغية مثل الحصر والنفي في وصف الكثرة مثل: ﴿وَمَا كان أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٨) يهدف إلى تعديل الذهنية الاجتماعية لدى المؤمن، وتحريره من ضغط الأغلبية ليصبح قادرًا على اتخاذ موقف نقدي، مدركًا أن الحق متجرد عن الأشخاص والعدد.

وهكذا، تُصبح اللغة في الخطاب القرآني هي الأداة الرئيسية لتجسيد السنن الإلهية وإثبات أن القيمة النوعية هي المعيار الذي يجب أن يسعى إليه الإنسان.

نتائج الدراسة:

بالنسبة للسؤال الأول ونصه: كيف يصوّر الخطاب القرآني الأكثرية البشرية في السياقات المختلفة؟

سيتم الإجابة عن هذا السؤال من خلال الآتي:

أولاً: التقصير في المعرفة والإدراك (نفي العلم والتعقل والجهل)

جاء الوصف القرآني للأغلبية بأنها جاهلة بالحقائق الكونية والشرعية، وتفتقر إلى القدرة على الفهم والتدبر. ومن الآيات الدالة على ذلك: قول الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٧، يوسف: ٢١، يوسف: ٤٠، يوسف: ٦٨، النحل: ٣٨، الروم: ٦، الروم: ٣٠، سبأ: ٢٨، سبأ: ٣٦، غافر: ٥٧، الجاثية: ٢٦، الأنفال: ٣٤، الأعراف: ١٣١، الأنبياء: ٢٤، النمل: ٦١، القصص: ١٣). وبالتالي فإن الأغلبية لا تصل إلى إدراك حقائق الله وأحداث الكون، وهو ما يجعلهم بعيدين عن التصرف الصائب في حياتهم.

ثانيًا: الكفر ورفض الإيمان أو الحق

جاء الخطاب القرآني ليصف الأغلبية بأنها تميل إلى الكفر أو رفض الحق بعد رؤيته، رغم توفر البينات والدلائل. كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٨، ٦٧، ١٠٣، ١٢١، ١٣٩، ١٥٨، ١٧٤، ١٩٠). وقوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (يوسف: ١٠٦). وبالتالي فالخطاب القرآني يشير إلى أن الأغلبية البشرية قد ترفض الإيمان حتى بعد تجلي الحقائق لهم، مما يدل على بعدهم عن اتباع الهدى.

ثالثًا: الفساد والفسق والمعصية

تتجه الأغلبية في الخطاب القرآني إلى الفساد والابتعاد عن الطاعات، أو الانحراف عن القيم الصحيحة. يتجلى ذلك في قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران: ١١٠)، وقوله: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (التوبة: ٨)، وقوله: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٦٢). وبالتالي تمثل الأغلبية قوة سلبية، تفشل في الالتزام بالحق أو المبادئ الأخلاقية.

رابعًا: الجهل بالقدر الإلهي وعدم الاعتراف بنعم الله

لا تدرك الأغلبية في الخطاب القرآني نعمة الله، وقد تنكرها أو تظن أنها نتاج جهدهم الشخصي فقط. قال تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٤٩). وقال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (النحل: ٨٣). ليأتي دور القرآن محذرًا البشر من الغفلة عن نعم الله والاعتراف بها.

خامسًا: الاعتماد على الظن والخداع أو الانحراف عن الحق

تتبع الأغلبية كما وصف الخطاب القرآني الظنون أو المعلومات غير المؤكدة، مما يضلهم عن الحق. قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (يونس: ٣٦). وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف: ٥٤). وبالتالي قد تنحرف الأغلبية عن معرفة الحق وتتبع أفكارًا غير ثابتة أو شائعات.

وعليه، فإن الخطاب القرآني يصور الأغلبية البشرية بأنها: جاهلة أو مقصرة

في الفهم، وتتمرد على الحق أو ترفض الإيمان، كما أنها تميل إلى الفساد والفسق، ولا تعرف قدر نعم الله أو تهملها، وتتبع الظنون وتفتقر للحكمة في الرأي.

وهذا التصوير ليس مجرد نقد، بل يشير إلى طبيعة الاختلاف بين الإنسان والأكثرية، مع دعوة صريحة للوعي، والتعلم، والاتباع الصحيح للهدي.

بالنسبة للسؤال الثاني ونصه: ما الأبعاد السلوكية والمعرفية للأكثرية كما تظهر في الخطاب القرآني؟

فيما يلي الإجابة عن هذا السؤال:

أولاً: الأبعاد المعرفية للأكثرية في الخطاب القرآني

يمكن استعراض الأبعاد المعرفية للأكثرية في الخطاب القرآني على النحو الآتي:

١- الجهل وضعف الإدراك والفهم

تعاني الأغلبية في الخطاب القرآني من قصور معرفي واضح، يتمثل في عدم العلم بالسنن الإلهية، وعدم إدراك الحقائق الكبرى، وضعف النظر في آيات الكون. قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٧، يوسف: ٢١...)، وقال تعالى: ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٣). وبالتالي فإن الخطاب القرآني يرى أن الجهل ليس حالة معرفية فقط، بل موقف وجودي ناتج عن الإعراض عن طلب الحق، وعدم استخدام أدوات الفهم التي منحها الله للإنسان.

٢- اتباع الظن والوهم بدل الحقائق

تعتمد الأكثرية في الخطاب القرآني على الظنون غير السليمة، وتُسقط العقل في اتخاذ القرارات. قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ (يونس: ٣٦). حيث إن اتباع الظن يكشف عن ضعف في منهجية التفكير، فتفتقر الأكثرية إلى النقد والتحقق والتثبت.

٣-الإعراض عن آيات الله وعدم التذكر

يميل أكثر الناس وفقًا للخطاب القرآني إلى ترك التدبر، وإهمال الآيات البيّنات، والابتعاد عن مواضع الهداية. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف: ٥٤). حيث الجدال العقيم علامة على ضعف المقاصد وغياب إرادة الهداية.

٤-عدم الوعي بالنعمة وإنكارها

لا تدرك الأكثرية قيمة النعم أو تنكر مصدرها الحقيقي. قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (النحل: ٨٣). حيث تعكس هذه السمة

المعرفية غياب الوعي الوجودي، وتؤدي إلى انحرافات سلوكية.

ثانياً: الأبعاد السلوكية للأكثرية في الخطاب القرآني

يمكن استعراض الأبعاد السلوكية للأكثرية في الخطاب القرآني على النحو الآتي:

١-الميل إلى الكفر والشرك والانحراف

تميل الأغلبية وفقًا للخطاب القرآني إلى رفض الإيمان، أو تجمع بين الإيمان الظاهري والشرك الخفي. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرهمُ مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٨). وقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (يوسف: ١٠٦). فالكثرة هنا ليست معيارًا للحق، بل غالبًا ما تكون في جانب الانحراف.

٢- الفساد والعدوان والسلوكيات غير الأخلاقية

تسارع الأكثرية كما يصف الخطاب القرآني نحو الإثم، والعدوان، ومخالفة القيم، وضعف الالتزام بالعهد. قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ (المائدة: ٦٢)، وقال تعالى: ﴿أَكْثَرُهُم فَاسِقُونَ﴾ (التوبة: ٨؛ آل عمران: ١١٠). فالفساد هنا ليس حادثًا فرديًا، بل سلوك جمعي يمثل الأغلبية البشرية نتيجة خلل في البناء المعرفي.

٣- الجدال العقيم ورفض الاستجابة المباشرة للحق

تميل الأكثرية في الخطاب القرآني إلى المجادلة بدل التسليم للحق، وإضاعة الوقت في الخلاف غير المنتج. قال تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف: ٥٤). فالجدال هنا يعبر عن سلوك دفاعي يخفي ضعف الحجة وعدم الرغبة في الالتزام.

٤-الظلم والغطرسة والتصرف وفق الشهوات

تميل الأكثرية وفقًا للخطاب القرآني إلى ظلم أنفسهم وظلم غيرهم، وإلى استعجال الهوى. قال تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (المؤمنون: ٧٠). وقوله: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (الزخرف: ٧٨) حيث رفض الحق ناتج عن اتباع الهوى، وهو سلوك يرسخ الاتجاه الجماعي للبعد عن الهداية.

٥-الاغترار بالدنيا وضعف الارتباط بالقيم العليا

تركز الأكثرية وفقًا للخطاب القرآني على المكاسب العاجلة، وتنشغل عن الغايات الكبرى. قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ٢٤٣، يوسف: ٣٨، غافر: ٦١). حيث الشكر قيمة سلوكية تتضمن الوعي والالتزام؛ غيابها يعكس رغبة نفعيّة محضة.

وبالتالي، تتنوع الأبعاد المعرفية والسلوكية للأكثرية في الخطاب القرآني بين نمط متكامل معرفيًا من حيث: جهل الإدراك وقصوره، واتباع الظن، والإعراض عن الآيات، وإنكار النعمة، وضعف التمييز بين الحق والباطل. ونمط متكامل سلوكيًا من حيث: الكفر والشرك، والفساد والعدوان، والجدال العقيم، واتباع الهوى، والانغماس في الدنيا.

إن هذه الأبعاد المعرفية تولّد تلك السلوكيات، مما يؤكد البناء القرآني الذي يربط الفكر بالسلوك، ويوضح أن انحراف الأكثرية ليس مجرد خطأ سلوكي، بل نتاج خلل معرفي عميق.

بالنسبة للسؤال الثالث ونصه: كيف يرتبط تصوير الأكثرية بالسنن الإلهية في الخطاب القرآني؟

فيما يلي الإجابة على هذا السؤال:

أولاً: سنة الغلبة القيمية لا العددية

تتضح سنة الغلبة القيمية من خلال معيار الحق مع القلة لا الكثرة، حيث السنّة القرآنية تقرر أن الغلبة لا تكون بالكثرة العددية بل بالحق والقيمة. قال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٤٩). حيث يأتي غالبًا تصوير الأكثرية مقرونًا بالضلال أو الفساد، بما يؤكد أن السنن الإلهية لا تمنح الأفضلية للعدد بل للالتزام بالحق.

ثانيًا: سنة الابتلاء والتمحيص

إن سنة الابتلاء تعد الأكثرية أداة اختبار، حيث يُظهر الخطاب القرآني أن وجود الأكثرية المنحرفة جزء من سنن الابتلاء والتمحيص؛ ففي وجودها يُمتحن إيمان القلة. قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ﴾ (الأنعام: ١١٦). فتصوير الأكثرية هنا يكشف أن اتباع الأغلبية قد يكون سببًا في الفتنة، وأن الانحياز للحق يحتاج تجاوز ضغط الكثرة.

كما أن الابتلاء يتمثل أحيانًا في انتشار الضلال، حيث السنّة الإلهية التي تُقر بأن انتشار الانحراف بين الأكثرية قد يقع لحكمة الامتحان، لا لغياب العدل الإلهي. قال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يوسف: ١٠٣).

ثالثًا: سنة العدل الإلهي والعاقبة

إن فساد الكثرة موجب للعذاب، إنها من أبرز السنن القرآنية: حيث إن تزايد الكثرة البشرية لا يمنع سقوط المجتمع إذا عمّ فيه الفساد. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ

لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود: ١١٧). حيث تصوير الأكثرية على أنها فاسقة أو غير شاكرة يربط مباشرة بين حال الأغلبية وبين استحقاق الأمة لنتائج أعمالها.

كما أن انتصار القلة الصالحة رغم قوة الأكثرية سنة إلهية أخرى، حيث انتصار القلة المؤمنة على الأكثرية الكافرة يتحقق شريطة الإيمان والعمل. واقتران الآيات التي تصف الأكثرية بالضلال مع آيات نصر الفئة القليلة يؤكد وحدة السنن بين الوصف والعاقبة. كما في قوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٤٩).

رابعًا: سنة الهداية والضلال

تتجه الأكثرية نحو الضلال إلا من رحم الله. قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ/ لَا يَعْقِلُونَ/ لَا يُؤْمِنُونَ/ لَا يَشْكُرُونَ﴾. وهذه الصيغ المتكررة في القرآن تكشف عن سنة ماضية: أن اتجاه الغالبية نحو الانحراف هو جزء من طبيعة الاجتماع البشري حين يغيب الوعي القيمي.

كما أن الهداية تُمنح لمن طلبها لا لمن كثر عدده. وقد صور الخطاب القرآني الأكثرية باعتبارها بعيدة عن الهداية، يقابله تصوير للقلة الذين يستجيبون، مما يعزز السنة الإلهية في منح الهداية وفق القابلية لا وفق العدد.

خامسًا: سنة التداول الحضاري

تتمثل الأكثرية وفق سنة التداول الحضاري قوة بشرية لا حضارية، فرغم كثرة العدد، لا تنجح الأكثرية في صناعة الحضارة إذا غابت القيم. حيث يجب اتباع السنن الإلهية مثل: الأخذ بالأسباب، والاستقامة، والعمل الصالح. والتي تُصوّر القلة المؤمنة باعتبارها صانعة النهضة لا الأكثرية الغافلة.

ومن سنن التداول الحضاري سقوط الأمم حين تصبح الأكثرية سلبية، حيث تصوير الأكثرية بالفساد أو الكفر أو اتباع الهوى يربط مباشرة بسنن السقوط الحضاري مثل سنّة الاستبدال وسنّة التغيير.

سادسًا: سنة الاختلاف البشري

يتمثل وجود الاختلاف بين الناس وكثرة الضالين سنة كونية. حيث يقرر القرآن أن الاختلاف والضلال والبعد عن الحق بين الأكثرية أمر يدخل في السنن الجارية. قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود: ١١٨). حيث تصوير الأكثرية بوصفها منحرفة يؤكد أن تنوع المواقف البشرية

ناتج عن سنة التخيير والاختبار.

وبالتالي يرتبط تصوير الأكثرية البشرية في الخطاب القرآني ارتباطًا وثيقًا بالسنن الإلهية، ويتجلى هذا الارتباط في حقائق كبرى هي: الكثرة لا تُعتَبر معيارًا للحق؛ والسنّة تمنح القيمة للقلة المؤمنة، ووجود الأكثرية المنحرفة جزء من سنّة الابتلاء والتمحيص، كما أن فساد الأكثرية يفعّل سنن الهلاك والسقوط الحضاري. والهداية والنجاح لا يرتبطان بالعدد بل بالاستجابة للحق. ثم إن التداول الحضاري يرتبط بالقيم لا بالكثرة البشرية.

وبذلك يصبح مفهوم "الأكثرية" في الخطاب القرآني ليس وصفًا عدديًا فحسب، بل عنصرًا تحليليًا في بنية السنن الإلهية التي تدير حركة الإنسان والكون والمجتمع.

بالنسبة للسؤال الرابع ونصه: كيف يميّز الخطاب القرآني بين الغلبة العددية والغلبة في الحق؟

سيتم الإجابة عن السؤال الرابع وفقًا للآتي:

أولاً: تقديم معيار الحق على معيار العدد

يُظهر الخطاب القرآني أن العدد ليس مؤشرًا على الصواب، وأن الغلبة الحقيقية تُبنى على الحق والصدق والإيمان. وقد تجلى هذا المعنى في مواضع عديدة، أبرزها: قول الله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٤٩). حيث تنفي الآية العلاقة الحتمية بين الكثرة والنصر، وتثبيت أن العبرة بإذن الله، أي بتحقق شروط الحق. وفي مقابل ذلك، يشير القرآن مرارًا إلى أن الأكثرية ليست معيارًا يُستند إليه. قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ﴾ (الأنعام: ١١٦). حيث الغلبة العددية قد تقود إلى الضلال، بينما الغلبة في الحق نتاج الالتزام بأمر الله ولو كانت الفئة قليلة.

ثانيًا: ترسيخ مفهوم القوة القيمية مقابل القوة العددية

يقدم الخطاب القرآني نموذجًا بديلًا للقوة؛ فالقوة عنده ليست قوة العدد أو السلاح، بل قوة القيمة وقوة العقيدة، أي "القوة المعنوية" التي تُحدث الأثر ولو قلّ عدد حامليها. قال تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ (الأنفال: ٦٥). حيث ربط النصر هنا بصفة الصبر لا بالعدد. وفي المقابل، يؤكد القرآن أن العدد بلا قيمة إيمانية لا يمنح الغلبة قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ (التوبة: ٢٥). فليست الكثرة العددية هي التي تُنتج القوة، بل القيمة الإيمانية

والسلوكية التي يحملها الأفراد.

ثالثًا: الغلبة في القرآن ترتبط بتحقق السنن الإلهية

إن من أبرز محاور تمييز القرآن بين النوعين من الغلبة: أن النصر أو الهزيمة يخضعان لسنن إلهية ثابتة. ويمكن توضيح ذلك من خلال الآتي:

١-الغلبة العددية تخضع لسنة الأسباب المادية

إن الكثرة عنصر من عناصر القوة في الحساب المادي، لكنها ليست كافية. حيث يقر القرآن بدور الأسباب، لكنه لا يجعلها أصل الغلبة.

٢-الغلبة في الحق تتحقق بسنة النصرة الإلهية المشروطة. قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: ٧). وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ (الحج: ٤٠). حيث الغلبة في الحق سنة ربانية مرتبطة بتوفر شروط النصرة وهي الإيمان، والصبر، والتقوى، وتوحيد المقصد.

رابعًا: بنية الخطاب القرآني تبرز محدودية الغلبة العددية

يعرض الخطاب القرآني أمثلة تاريخية تثبت ضعف الغلبة العددية أمام الحق، فعلى سبيل المثال: في قصة نوح عليه السلام والذي مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا ولم يؤمن معه إلا قليل. قال تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (هود: ٤٠)، ومع ذلك كانت العاقبة للحق. وفي قصة موسى عليه السلام وقف أمام قوة فرعون وجنوده رغم الكثرة الساحقة، وكانت الغلبة في النهاية لأهل الحق. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الزخرف، ٥٥). حيث يعيد القصص القرآني تشكيل وعي المسلم بصور عملية تؤكد أن الغلبة في الحق تتجاوز حدود العدد.

خامسًا: الخطاب القرآني يربط الغلبة في الحق بمقاصد الهداية

يحمل القرآن رؤية عميقة تتمثل في أن الحق وحيٌ مُنزَّل والغلبة له مهما قلّ عدد حَمَلَته، لأنه موجه لهداية الإنسان وتحقيق العدل. قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ (الإسراء: ٨١). وهذا يوضح أن انتصار الحق مرتبط بطبيعته الذاتية، لا بالعدد.

سادسًا: التفريق بين الغلبتين في الصياغة اللغوية القرآنية

يستخدم القرآن بناء لغويًا خاصًا يعزز هذا التمييز، حيث صيغة القلة عندما يُراد إظهار القيمة لا العدد. وصيغة العموم والكثرة عندما يُراد بيان فساد الأكثرية. والربط بين أدوات الشرط والصبر والتقوى لإظهار أن النصر متعلق بالقيم لا بالعدد.

وبالتالي، يميز الخطاب القرآني بين الغلبة العددية والغلبة في الحق عبر نفي الارتباط بين العدد والصواب، وإثبات قيمة الغلبة القيمية القائمة على الإيمان والعمل الصالح، وربط النصر بالسنن الإلهية لا بالكمّ البشري. وكذلك الاحتجاج بالقصص القرآني الواقعي لإثبات ضعف الأكثرية إذا خالفت الحق، وتوظيف أدوات لغوية ودلالية تعزز هذا التمييز.

وبذلك يصبح القرآن مرجعًا يعيد تشكيل مفهوم "الغلبة" بصورة تتجاوز الحسابات الأرضية، لتستقر على قانون رباني مفاده: أن الحق ينتصر ولو قلّ أهله، وأن الباطل ينهزم ولو كثر أنصاره.

بالنسبة للسؤال الخامس ونصه: ما الأساليب اللغوية والدلالية والنحوية التي يستخدمها الخطاب القرآني لتصوير الأكثرية؟

سيتم الإجابة عن هذا السؤال وفقًا للآتي:

يعتمد الخطاب القرآني منظومة لغوية ودلالية متشابكة تُحوِّل مفهوم "الأكثرية" من مجرد وصف عدديّ إلى مؤشر قيميّ وسُنَنيّ، يهدف إلى تحرير المتلقي من وهم الغلبة العددية وإعادة بناء معيار التمييز بين الكمّ والكيف (Sardar, ٢٠٢٠). ويتحقق ذلك من خلال ثلاثة مستويات رئيسة: المفردة القرآنية وحقولها الاشتقاقية، والتركيب النحوي والصرفي، والاستراتيجيات الدلالية والبلاغية التي تصوغ إطارًا قيميًا للكثرة في سياقاتها المختلفة، ويمكن توضيح ذلك على النحو الآتي:

أولاً: الحقل اللفظي والاشتقاقي لبناء دلالة الكثرة

ويظهر ذلك في الآتي:

١-تنوّع الصيغ الاشتقاقية ودورها في ضبط المعنى

يستثمر الخطاب القرآني جذر (ك ث ر) بصيغ متعددة تُنشئ طيفًا دلاليًا يتراوح بين الوصف العددي العام والحكم القيمي المحدد، ومن أهمها:

- صيغة التفضيل (أكثر/ أكثرهم/ أكثر الناس)، وهي الصيغة الأكثر ورودًا في سياقات الكثرة البشرية، وغالبًا ما تُقرن بقيود دلالية نافِية (لا يعلمون، لا يشكرون، لا يؤمنون)، مما يمنحها بُعدًا تقويميًا سلبيًا في أغلبية السياقات. قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٧).
- اسم الفاعل والصفة المشبهة (كثير/ كثيرًا)، وتبرز وظيفتها في سياق النعم المادية أو الحوادث المتكررة. قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ (التوبة: ٢٥)، أو لوصف جماعات معيّنة: "كثير منهم"، "كثير من الناس".

٢-التعميم والتخصيص في دلالة المفردة

- حيث التعميم بلفظ "الناس" يشيع في سياق الحكم على جمهور البشر: "أكثر الناس" فتستعمل كإطار عام يحذر من الاتجاه الغالب للبشرية.
- التخصيص بالضمائر مثل "أكثرهم" أو "كثير منهم" يربط الحكم بسياق محدد، سواء كان أهل الكتاب أو فئة من المنافقين أو جماعة داخل المجتمع المؤمن. قال تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران: ١١٠).

ثانيًا: الأساليب النحوية والصرفية (ضبط الحكم وتثبيت السُّنَن)

وتظهر في الآتي:

١- صيغ الثبوت والديمومة

حيث استخدام اسم الفاعل أو الصفة المشبهة يضفي على الصفة طابع الرسوخ والاستمرار، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران: ١١٠). وهذا ما يؤكده التحليل النحوي والصرفي الحديث (جاد، ٢٠٢٥).

٢- الفروق الإحالية والصرفية

حيث أظهر التحليل اللغوي (السامرائي، ٢٠١٩) أن القرآن يوظّف الفروق بين:

- ضمير الإفراد والجمع
- التذكير والتأنيث
- الجمع السالم وجمع التكسير، وذلك لتحديد مساحة الدلالة بين القلة والكثرة، مما يمنح المعنى قدرة على التخصيص أو التعميم بحسب السياق.

٣- أدوات الشرط وربط الكثرة بنتائجها

تأتي تراكيب الشرط لتقرير سنن ثابتة تربط بين اتباع الأكثرية والوقوع في الضلال، ويُعد استعمال أداة الشرط "إن" من أقوى صيغ بناء الحكم السنني. قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (الأنعام: ١١٦). فليست الكثرة هنا مجرد عدد، بل عامل مُفضٍ إلى نتيجة لازمة.

ثالثًا: الاستراتيجيات الدلالية والبلاغية (التأطير القيمي للكثرة)

وتظهر في الآتي:

١- التأطير بالنفي والاستدراك

ترد صيغ "لا يعلمون"، و"لا يشكرون"، و"لا يعقلون" مع الكثرة في أغلب السياقات، لتكوين صورة قيمية مستقرة تحوّل الحكم من وصف عددي إلى تقييم معرفي وسلوكي (الحداد، ٢٠٢٥). ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

يَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ٢٤٣).

٢- المقابلة البلاغية بين القلة والكثرة

حيث تعتمد آيات كثيرة على المقابلة لتصحيح ميزان المفهوم في ذهن المتلقي، وإبراز أن القيمة ليست في الكمّ. قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ (المائدة: ١٠٠). الكثرة هنا ليست معيارًا للجودة، بل قد تكون مبررًا للتحذير.

٣-السرد القصصي بوصفه تأسيسًا سننيًا للكثرة

تسهم القصص القرآنية في تصوير مآلات الكثرة حين تخالف الحق، كما في قصة غزوة حنين. قال تعالى: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ (التوبة: ٢٥)، حيث توجه القصة درسًا بأن الكثرة العددية لا تغني شيئًا عند غياب القيمة.

وبالتالي، فإن الخطاب القرآني يبني "ثقافة نقدية تجاه الكثرة" عبر منظومة لغوية متكاملة تجمع بين انتقاء المفردات والصيغ الاشتقاقية، والتراكيب النحوية والصرفية الدالة على الثبوت أو العموم، وكذلك عبر إطار بلاغي قيمي يربط الكثرة بنتائجها السلوكية والمعرفية. مما يؤدي إلى إعادة صياغة الوعي بحيث لا تُعد الغلبة العددية معيارًا للحق أو الصواب، بل تتحول إلى عنصر تفسيري داخل سنن الهداية والضلال.

خلاصة:

تكشف الدراسة من خلال تحليل الخطاب القرآني لمفهوم "الأكثرية" عن بنية تصورية متكاملة تُبرز أن الكثرة البشرية – في معظم سياقاتها – لا تمثل معيارًا معرفيًا أو سلوكيًا موثوقًا، بل ترتبط غالبًا بالضلال والقصور، وذلك في إطار منظومة سننية متماسكة تسعى إلى إعادة تشكيل وعي المتلقي بمعايير الهداية والحق.

أولاً: تصوير الأكثرية البشرية في الخطاب القرآني

يقدّم القرآن تصورًا نقديًا للأغلبية، فيصفها بأنها محدودة الإدراك ومعطلة للعقل، تتبع الظنون وتعرض عن آيات الله، ولا تعترف بالنعمة على حقيقتها. وتميل الأكثرية في هذا التصوير إلى الكفر أو الشرك، والانغماس في الفساد والعدوان، وإيثار الهوى. فالأغلبية – في منطق القرآن – تتحرك داخل إطار معرفي هشّ وسلوكي منحرف، يجعلها بعيدة عن الهداية وقاصرة عن إدراك الحقائق الإلهية والكونية.

ثانيًا: الأبعاد المعرفية والسلوكية للأكثرية

أظهرت الدراسة أن القصور المعرفي للأكثرية يتجلّى في أربعة محاور: الجهل

وضعف الإدراك، واعتماد الظن بدل اليقين، والإعراض عن آيات الله، وإنكار النعم. وهذه الأبعاد ليست مجرد نواقص معرفية، بل تشكّل جذورًا لانحرافات سلوكية واسعة؛ إذ تتجلى السلوكيات في الميل إلى الكفر والشرك، والإغراق في الفساد والعدوان، وممارسة الجدال العقيم، واتباع الأهواء، والانشغال بالدنيا على حساب القيم العليا. ويكشف هذا الترابط عن بنية قرآنية تربط بين المعرفة والسلوك، وتبيّن أن فساد الأكثرية هو نتيجة طبيعية لخلل معرفي عميق.

ثالثًا: ارتباط تصوير الأكثرية بالسنن الإلهية

يتجاوز القرآن في تصويره للأكثرية حدود الوصف إلى كشف السنن التي تحكم حركة الإنسان والمجتمع. فمن خلال مفهوم سنة الغلبة القيمية يتضح أن النصر يرتبط بالقيم لا بالعدد، وأن وجود أكثرية منحرفة يدخل ضمن سنن الابتلاء والتمحيص. كما يربط الخطاب القرآني بين فساد الأكثرية وسنن الهلاك والسقوط الحضاري، ويؤكد أن الهداية لا تُمنح للكثرة بل لمن يحقق شروط القابلية لها. ويبرز كذلك أن الاختلاف بين الناس ووجود الأكثرية الضالة هو جزء من سنة الاختلاف البشري القائمة على التخيير والإرادة.

رابعًا: التمييز بين الغلبة العددية والغلبة في الحق

يبين القرآن أن الكثرة ليست مؤشرًا على الصواب، وأن الغلبة الحقيقية تنشأ من الالتزام بالحق لا من قوة العدد. فالنصر يتحدد بتوفر شروط النصرة الإلهية – كالصبر والتقوى والإيمان– بينما لا تنفع الكثرة إذا غاب الأساس القيمي. ويقدّم القصص القرآني أمثلة عملية تبرهن على ذلك، كما يعيد بناء الوعي بأن انتصار الحق سنّة في ذاته، وأن الباطل ينهزم مهما بلغ عدد أنصاره.

خامسًا: الأساليب اللغوية والدلالية والنحوية في تصوير الأكثرية

يستخدم الخطاب القرآني بنية لغوية دقيقة تجعل من لفظ "الأكثرية" أداة قيمة لا عددية. فالجذر (ك ث ر) يُوظَّف بصيغ متعددة ترتبط غالبًا بقيود نافية تُشكّل حكمًا تقويميًا ظاهرًا. كما يعتمد القرآن على التخصيص والتعميم لإبراز اختلاف السياقات، وعلى صيغ النفي والشرط لصناعة خطاب سنني يؤكد النتائج الملازمة لاتّباع الأكثرية. وتأتي المقابلة البلاغية بين القلة والكثرة لتفكيك وهم الغلبة العددية، بينما تلعب القصص القرآنية دورًا تمثيليًا يقدّم نماذج واقعية لمصائر الجماعات حين تكون الكثرة على الباطل.

ويتبين من مجموع النتائج أن "الأكثرية" في الخطاب القرآني ليست مفهومًا

عدديًا محايدًا، بل هي بناء دلالي وسنني يعكس رؤية قرآنية عميقة لطبيعة الإنسان والاجتماع البشري. فالأغلبية –بما تحمله من قصور معرفي وانحراف سلوكي– تصبح في كثير من الأحيان رمزًا للضلال، بينما تُقدّم القلة المؤمنة نموذجًا للغلبة القيمية والحضارية. ويعيد القرآن من خلال هذا التصور صياغة معيار الحكم على الأشياء، ليقرر أن الحق لا يُعرف بالكثرة، وأن السنن الإلهية تنتصر للقيم والهداية، لا للعدد والقوة الظاهرية. وبذلك يتشكل فهم قرآني متكامل يعيد بناء العلاقة بين الإنسان، والقيم، والسنن، ومعايير الحكم في الحياة والمجتمع.

التوصيات:

في ضوء نتائج الدراسة يمكن عرض التوصيات الآتية:

١- تعميق الوعي بمفهوم الكثرة في الخطاب القرآني من خلال تعزيز القراءة التي تُفرّق بين الكثرة العددية والكثرة القيمية، عبر ربط الدلالة القرآنية بالسياق، وعدم التعامل مع الكثرة بوصفها معيارًا للحقيقة أو الصواب.

٢– إعادة النظر في ثقافة الانقياد للأغلبية، وضرورة توعية المؤسسات التعليمية والدعوية بخطورة تأسيس القرارات على قاعدة "ما تتفق عليه الأكثرية"، إذ تُظهر النصوص القرآنية أن الأكثرية ليست معيارًا للحق، بل قد تكون سببًا للضلال.

٣– تعزيز التربية على الوعي النقدي، من خلال إدماج مفهوم التمحيص وبناء الحكم القائم على البرهان لا على العدد في المناهج التربوية؛ بما ينسجم مع التوجيه القرآني الذي ينتقد الانسياق وراء الكثرة دون تمييز.

٤– الدعوة إلى قراءة سننية للواقع، من خلال تشجيع الباحثين والعاملين في المجال الدعوي على توظيف السنن الإلهية المتصلة بالأكثرية (كالضلال والشحّ المعرفي وضعف الشكر) في تحليل الظواهر الاجتماعية والسياسية المعاصرة وفهم أسباب انحرافاتها.

٥– التركيز على بناء "القلة الفاعلة" من خلال توجيه البرامج القيادية والتربوية نحو تكوين النماذج القرآنية للقلة المؤمنة الواعية، مع ترسيخ قيمة النوع والجوهر في مقابل الكم، استنادًا إلى ثنائية (كثرة ضالة/ قلة مؤمنة).

٦– تعزيز البحث اللغوي–الدلالي في ظاهرة الكثرة، من خلال إجراء دراسات أعمق في الأساليب اللغوية التي يعتمدها القرآن في تصوير الكثرة (القلة/ الكثرة، الأفعال، الجموع، أدوات الشرط، الضمائر...) بهدف الكشف عن البنية اللغوية الدقيقة التي تُنشئ هذا المفهوم.

٧- إعادة قراءة الخطاب القرآني في ضوء المفاهيم الحديثة، من خلال تشجيع الدراسات المقارنة بين تمثيلات "الأكثرية" في القرآن والنظريات الاجتماعية الغربية (الديموقراطية العددية، رأي الأغلبية، سيكولوجيا الجماهير) لإبراز خصوصية البناء القيمي القرآني.

٨- تعميق الوعي الدعوي بالتوجيه القرآني، من خلال إدماج نتائج الدراسة في خطط الوعظ والخطاب الدعوي لإعادة ضبط المفاهيم المتعلقة بالأغلبية، وتحصين المجتمع من الانجراف وراء "صوت الجمهور" على حساب الثوابت الشرعية.

٩- الاهتمام بالبعد المعرفي للآيات المتعلقة بالأكثرية، من خلال توجيه الباحثين في علوم التربية والتربية الإسلامية إلى استثمار الدروس المعرفية (قلة العلم، ضعف الشكر، الجهل بالعواقب) في بناء مناهج تعليمية تُعالج هذه الإشكالات بطرق تربوية معاصرة.

١٠- تطوير برامج في مهارات التفكير القرآني، من خلال وضع برامج تدريبية تعليمية تستثمر نتائج الدراسة في تعليم المتعلمين كيفية بناء الحكم على الحقائق لا على الجماهير، وكيفية قراءة الظواهر الاجتماعية بمنظور سنني.

المراجع:

القرآن الكريم.

- ابن عاشور، محمد الطاهر (١٩٨٤). **التحرير والتنوير: تفسير القرآن الكريم**، تونس: الدار التونسية للنشر.
- أبو موسى، محمد محمد (١٩٩٦). **خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني**، ط٤، القاهرة: مكتبة وهبة.
- جاد، محمد كمال محمد (٢٠٢٥). الفروق التركيبية والصرفية للتفريق بين دلالتي القلة والكثرة في القرآن الكريم (دراسة وصفية تحليلية). **مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية**، (١) ٣٣، ١-٨٤.
- جعفر، نجوان فضل عبد الله (٢٠٠٩). انتصار القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة في ضوء القرآن الكريم (دراسة موضوعية) (**رسالة ماجستير غير منشورة**). الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
- الحداد، حسام (٢٠٢٥). الأكثرية والأقلية في الخطاب القرآني، **مجلة الأنطولوجيا**. مسترجع من: https://alantologia.com/blogs/٨٦٩٦٠/
- حسب النبي، محمد سعيد (٢٠٢٥). مفردة "قيم" الأخلاقية في الخطاب القرآني دراسة في لسانيات النص، **مجلة البحوث والدراسات الإنسانية**، ع ٥٥، ١٥٦-١١٧.
- حسب النبي، محمد سعيد (٢٠٢٥). أوصاف القول في الخطاب القرآني في ضوء المعايير النصية عند دي بوجراند، **مجلة البحوث والدراسات الشرعية**، ع (١٩٣). ١٥١-١٩٢.
- الرازي، فخر الدين (١٩٨١). **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، بيروت: دار الفكر.

- السامرائي، محمد فاضل (٢٠١٩). القلة والكثرة في القرآن الكريم: دراسة تحليلية دلالية، **مجلة الآداب**، (١٢٩)، ٨١-١٠٦.
- الشرباصي، أحمد (١٩٥٤). القلة والكثرة في القرآن، **مجلة الأزهر**، (٨)٢٦، ٤٣٣.
- العزازمة، أمينة سلمان (٢٠١٤). القلة والكثرة في القرآن الكريم: دراسة دلالية، **(رسالة ماجستير غير منشورة)**، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن.
- الغريب، رمضان خميس زكي (٢٠١٦). **سنة الله في القلة والكثرة في ضوء القرآن الكريم وموقف المسلمين منها بين الوعي والسعي**، الدوحة: مؤسسة وعي للدراسات والأبحاث.
- Sardar, Hind binti Muhammad (٢٠٢٠). Minority and Majority in the Holy Quran, **QURANICA - International Journal of Quranic Research**, Vol.١٢, Issue ٢, (Special Issue ٥), ٥٣٠- ٥٦٥.